

التعليم العالى للنساء للائسة أسماء فهمي

دوجة شرف في الآداب

ما زال التعليم العالى للنساء في مصر وليدا في المهد، ولم تتبأ أغلبية العقول بعد للاقلاع عن المبدأ القديم الذي يقول إن المرأة لم تخلق الا للدار وانجاب الاطفال ويكفيها لقضاء مهمتها الخاصة أقل قسط من التعليم. وتحت تأثير هذا الزعم كان قبول النتيات بالجامعة المصرية سنة ١٩٢٨ بطريق الاحتيال والتأمر كما ذكر أحد رجالات التعليم في مصر في حفلة تكريم أولى خريجات الجامعات بدار الاتحاد النسائي في الشهر الماضي. والواقع، ما زال التعليم العالى للنساء في بلادنا نبتا يخشى عليه من تقلبات الجو السياسى وزواجر الآراء الرجعية بالرغم من أن النساء في البلاد الاوربية الراقية التي تحذو مصر حذوها في كثير من نواحي حضارتها، قد حصلن على هذا الحق منذ أكثر من ثمانين عاما.

ولما يخامر النفس من شكوك ومخاوف، على مستقبل التعليم العالى للمرأة المصرية، رأينا ان تأهب للدفاع، بعرض قضية المرأة اليوم على بساط البحث بأدنين بيان الغرض من التعليم العالى ثم ما يترتب عليه من النتائج بالنسبة للمرأة والمجتمع.

يمتاز التعليم العالى الصحيح الذي يتحرر فيه الطالب من كل القيود بكونه يهيء مجالا واسعا لتكوين الشخصية ولاظهار المواهب بما ان من اول شروطه البحث المستقل والاطلاع الواسع والاعتماد على النفس في تكوين الآراء والوصول الى نتائج تدعمها الحجج القوية والبراهين. كما ان من مزايا هذا التعليم أيضا فيما لوسار على أسسه الصحيحة، الاتصال بالمجتمع ودراسة أزمائه وظواهره المختلفة من سياسية واقتصادية وأدبية والنشء على اعمال الجماعات والقيادة بأن يشتركوا في تكوين الجمعيات الصغيرة للبحوث والالاماب والاعراض المختلفة التي تنشأ في ظل الجامعة. وهذه الطريقة يتادرون العمل المشترك والتعاون وتضعف فيهم النزعات الانانية. وبذلك يصبحون اعضاء نافعين للمجتمع والانسانية.

والمرأة احوج ما تكون الى مثل هذا التعليم الذي يتضمن كل هذه المزايا فلها عقل كعقل الرجل هو الفارق بينهما وبين الحيوانات غناؤه الطبعي العلوم ونموه وصقله في استغلالها واستثمارها وبما ان المرأة انسان فلا يصح ان تمنعها الامومة أو الحياة المنزلية من ان تستكمل اول مميزات الانسان

من ثبت مع رسول الله فضربنى بهذه الضربة ولقد ضربته ضربات ولكن عدو الله كانت عليه درعان (١)

وهناك موقف آخر من مواقف بطولاتها الخالدة يوم خرج خالد ابن الوليد في جيش فيه ولداها لقتال مسيلمة الخنفي. فاسر مسيلمة ابنها حبيبا فعذبه اراد فتنعه دينه، ولكن انى لهذا الشهم الكريم ليل تلك السيدة الكريمة الباسلة التي غرست فيه الشمم وقوة الايمان يوم ان ارضعته. أتى له ان يفتن في دينه أو يصبأ عن عقيدته. روى ابن هشام (١) في السير مانعه... وابنها حبيب الذي اخذه مسيلمة صاحب اليامة فجعل يقول له أنشهدان محمدا رسول الله فيقول نعم، فيقول أنشهدانى رسول الله فيقول له اسمع فجعل يقطع منه عضواً عضواً حتى مات في يده لا يزيد على ذلك: اذا ذكر رسول الله آمن به وصلى عليه، واذا ذكر مسيلمة قال له اسمع، فلما بلغها هذا خرجت الى اليامة مع المسلمين فباشرت الحرب بنفسها حتى قتل الله مسيلمة ورجعت وبها اثنا عشر جرحاً ما بين طعنة وضربة.

هذه هي نية بنت كعب التي كانت مثلاً عالياً أعلى من التضحية والاقدام، والبسالة والنبيل. على انها ما كانت لتقتصر على هذا فقد كان لها نصيب وافر من العلم فقد روت عن النبي وحدثت كما في الاصابة.

فها تحذوها اوانس اليوم اللائح نسين واجباتهن وفرطن في كل شيء عدا ذنبتهن وترفن

فلتأس الشابات الكرائم بنسبة ذلك العصر، ولطيفة هذا الوقت ليقمن بما عليهن لهذا البلد الامين فنشئن له من فلذات اكبادهن رجالا اولى قوة، شدا اذا صلابا يتقنونه مما هو فيه؟

اسعد طللس

« ١ » السيرة لابن هشام ص ٥٧٣ طبع أوروبا في فصل من اوانه أم عماره

لسية الخ

(٢) ص ٣١٢ طبع أوروبا

للتعليم اذا صدقت الاحصائيات أن أكثر من ٥٠ في المائة من المتعلقات تعلما عاليا في أوروبا وأمريكا يحجمن عن الزواج ويفضلن حياة الاتاج والمسب والاستقلال على الحياة المنزلية التي لا تهمهن. لكن الميدان الكافي لاستثمار معلوماتهن بالذات فيز عدد النسل ويضمحل اذا ترك تلك السيدة الهامة لاجلية من غير المتعلقات ؟ ثم الا تصبح أولئك المستعدات على الحياة البتة عاملا خطرا من عوامل الازمات الاقتصادية اذ يناقسن الرجال في ميادين الاعمال فيزداد عدد العاطلين والمعوزين من الأسر ؟

إن مجرد النظر السطحي الى مثل هذه الاعتراضات يظهر المرأة بمظهر الخارج على القوانين الطبيعية العامل على فناء النوع الانساني ومضاعفة أخطار الازمات الاقتصادية . ولكن الموضوع أخطر من أن نكتفى بالنظر السطحي اليه . لنسلم جدلا بأن أكثر من ٥٠ في المائة من خريجات الجامعة يحجمن عن الزواج عندما يجدن لنة كافية في الامور العلمية واستثمار تعليمهن العالي . ولكن تسليمنا بذلك ماهو الا نسليم بجانب من الحقيقة فقط ، ويجب أن نذكر انصافا للمرأة واقراء للحق أن المرأة التي لا تتزوج تستخدم المجتمع في الغالب بطريق مباشر، طريق الاتاج العلمي والعملی واصلاح المساوي. الاجتماعية فعمل المرأة البيولوجي لا يصل وحده بالمجتمع الى الرقي والرخاء وانما الانسانية بحاجة الى مجهودها الموقر واستقلال مواهبها خارج المنزل كما هي بحاجة الى عملها الخاص داخله . أما ما يقال عن نتائج من يتزوجن من المتعلقات تعلما عاليا وان كن الاقلية فهو أن العبرة بالنوع لا بالعدد، وبالكيف لا بالكم . فلو لم تتعلم النساء هذا التعليم لسكننا حقا اكتسبا زيادة في عدد الاطفال، ولكننا من ناحية أخرى كنا نفقد الاضافة الى الاتاج العقلي والثروة المعنوية، والاطفال المتمازين الذين لا ينجبهم غير الامهات المتعلقات تعلما عاليا

اما المشكلة الاخرى وهي زيادة مزاحمة المرأة للرجل فيما لو تعلمت تعلما عاليا فيمكن ان نقول لهدم هذا الاعتراض انه ناتج عن امانية الرجل فلم يكن الرجل امانيا حقا بالعمل على نفعية المزايا المعنوية التي تترتب على تعليم المرأة تعلما عاليا في سبيل الاستثمار بالمزايا المادية بابعاد المرأة عن ميدان العمل بل هو قد يقدم على أكثر من ذلك فيعمل على أن يحرمها منعة التعليم العالي واللذة الروحية حتى يضمن عدم منافستها المادية في أحد الايام . إن مثل هذا الاعتراض لا يتفق مع شهامة الرجولة ولا مع اقدام الرجل

بان تستمتع بالتعليم العالي الوافي الطليق . . ثم إن المرأة في حاجة أعظم من حاجة الرجل الى الناحية الاجتماعية من هذا التعليم فهي بسبب ازوائها الطويل في عقد دارها وحرمانها من الاختلاط الحر وتناول الآراء قد عجزت عن تنمية الصفات الاجتماعية في نفسها . تلك الصفات التي يمتاز بها الرجل المثقف وهي الميل الى الاعمال المشتركة، وسعة الصدر في المناقشة والتفكير المتواصل الرصين ولو تحلت المرأة بتلك الصفات فوق ما تمتاز به من حنان ورقة لارتفع ولا شك مستوى المجتمع . ولتأت الحياة المنزلية . وتلك الصفات يمهّد السبيل لاكتسابها التعليم العالي أو الجامعي ، ففي أثناء هذا التعليم تختلط المرأة بأناس مختلفي الطبائع والنزعات، متوسّعين الأفكار والمذاهب، فيدور ما به من تنوع ونظرة محدودة متأثرة بالرغبات الشخصية الى الامور . . والواقع أن الحياة الاجتماعية في الجامعة لا تقل أهمية عن الحياة العلمية بما أنها تعد الطلاب للحياة العملية الراقية ولذلك اهتمت بها كل الاهتمام الجامعات العريقة مثل اكسفورد وكمبريدج اللتين أخرجتا للعالم مهرة الساسة والمصلحين . . وقد يعترض معترض : وما شأن المرأة بهذه الامور وهي لا ينظر أن تكون من الحكام أو الساسة الماهرين ؟ حقا إن المستقبل القريب لا يبشر بمثل هذا التقدم وان كنا لا نأمن من حصوله في وقت ما بلادنا أسوة بالبلاد الاخرى المتقدمة . ولكن الفتاة المصرية كما ينظر الى الصفات الاجتماعية وفوق ذلك تعدّها الحياة الجامعية الصحيحة لان تقوم بتصويبها في ميدان الاصلاح وليس هنالك من يجعل نواحي النقص الكثيرة في بلادنا وقد جمع أحد مفكرى الأمريكان الغرض من التعليم العالي للجنسين في قوله : « إن من يصرح بان الثقافة وتحرير المواهب الفردية هما غرض التعليم الاعلى، لا يذكر في الواقع غير نصف الحقيقة فاللعليم يكون ناقصا مبتورا اذا استمر منفصلا عن معالجة الشؤون الاجتماعية، قبل بعد ذلك تحرم المرأة من التعليم العالي الذي ينمي مداركها ويجعلها أداة نافعة لاصلاح المجتمع خصوصا وأنها مطبوعة على التضحية، شديدة الحساسية، تؤثر فيها تأثيرا بليغا مظاهر الشكوى والام ؟

تلك هي أغراض التعليم العالي ولم يبق الا أن نذكر شيئا عن بعض نتائجه التي يتخذها أنصار التردد والهزيمة حجة ضد التعليم العالي للنساء : فهم يقولون مثلا : أو ليس من نتائج التعليم العالي